طبيب بالكويت

لم ينته بعد شهرى الثالث ، وكأنى مقيم هاهنا منذ أمد طويل، لأنى تركت نفسى ومداركى تعمل أولا كآلة التقاط المناظر السينمائية ، أسجل مايمر بى على علاته وأستوعبه لأسترشد به فى ممارسة مهنتى . وفى عيادة الطبيب يستعرض الفرد عاداته مع مرضاء ،وأما الحياة العامة لشعب . فيكفى أن يصوب الطبيب (عدسته) وهو سائر بين الأزقة والشوارع والأسواق ، ليدرك كنهها . أجل فان لزاما على أن أعرف مستوى الحياة هنا معرفتى بالمؤثرات الجغرافية والجوية ، وإلا كنت كواعظ مخلص لايفهم الناس لغته فلا هو أراح ولا استراح .

مررت بكثير من بلاد العالم سابقاً . ولكن كسائح يهمه التمتع بكل جديد ، ويحاول أن يبقى لذاكرته ذخيرة منعشة من المباهج حتى أصرف منها أيام الشيخوخة العابسة .

وكنت سريع التعرف بمن حولى أينما انتقلت ، غير أن معرفة الكويتى تكاد تكون فنآدقيقاً ، وأنا محتاج أن أفهمه لأتمكن من أن أكون عملياً فى إرشاده لشؤونه الصحية والعلاجية بحسها . الكويتى رجل تختلف طبيعته ونشأته عن غيره ، فظهره مثلا ، يدل على الكسل ، ولكن حقيقته النشاط ، وفى حديثه تحسبه مرائياً ولكن الواقع أنه أجرأ من يواجهك بشعوره نحوك ، فى الوقت المناسب له . خاصيته أنه يبدأ كتاجر محلى ، ثم لايلبث أن يكون دولياً يمتد أفق معاملاته إلى دول أوروبا وأمريكا غير مفوت زنجبار وبالتالى إيران والهند والصين ، . ويدهشك أن تراه أعلم من مراسل رويتر بالصين عن تطور النزاع الموجود الآن بين الشيوعية والديمقراطية . فإذا لمست أن الكويتى يتعامل مع كل هذا دون وسيط أجنبى لمست مايطوى عليه عملياً .

ترى هذا الرجل النحيل هادئاً أمام مكتب بسيط جداً لايباهى بشىء فى حديثه ، ولا حتى بين مظاهره مايدل على الثروة الطائلة التى يتحكم فيها . ولكن ارمه بالجمود لأول نظرة ، وأنت لاتلبث أن تضحك من نفسك وحلمك . حيث إنه يميل بفطرته للتطور ، ولكن يهمه أولا وآخراً أن تكون خطاه ثابتة . دون طفرة ويتحاشى أن يعمل بنصف إيمانه فإذا اقترحت شيئاً مفيداً من الوجهة العامة ، فليس معنى إهمال التنفيذ أنه ضد المنطق ولكنه يقدر ويقدر ، فيجب أن تصبر وتلح إن كنت مؤمناً برسالتك . .

الكويتى ليس متعصباً للماضى ، فشعاره « أصل الفتى ماقد حصل » . أعنى أنه لايحتشى ، ذاكرته بما يدعيه المؤرخون بأن من لاماضى له لامستقبل له . وعندى أن هذا من أسرار نجاحه ، فهو عملى موفق دون ازدحام النظريات فى حياته . .

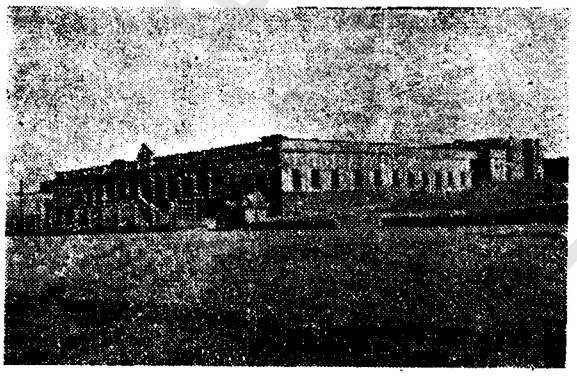

المستشفى الأميرى قبيل الانتهاء منه

سيقولون أين آثار إنشائه الوثابة ؟! فها أنا ذا أعطى أمثلة مما رأيت مع أن شهرى الثالث لم يتم بعد ! . بعد أيام رأيت شارعين امتدا كجبارعات ابتلع الأزقة والمنحنيات الغريبة ولم يكتف بتعمير الأبنية اللبنية الأساس بل أقام مكانها عمارات بالأسمنت المسلح تشرف على مساحة بطول المدينة وبعرض منسق ومنفرج ، وبطول طريق البحر أرى كل اسبوع جديداً يبطش بالقديم ، ويتهجم على البحر ليغتصب منه (كورنيشاً) أو مبانى حكومية ومخازن للجمرك .

وأعجبت مما اسلفت هو سرد ماقابلنى من الوجهة الطبية وهاهى ذى القصة أتلوها ، ومعها انفعالاتى النفسية حسب وقوعها .

جرت العادة بالكويت أن تستضيف الحكومة ، كل قادم عليها للعمل بإدارتها ، ثلاثة أيام تطعمه وترعاه ، ثم تتركه لنفسه وما حضر له . فلما انقضى الأجل خرجت

أتحسس مكانى ، وكان طبيعياً أن أسترشد بطبيب مقيم قبلى فسار بى دليلى نحو « المستوصف » وهو مبنى قديم ما ان جسست خلال غرفه حتى بدا الجزع على معالمى . هذا المستوصف لهذا البلد الناهض ؟ ! رأى صاحبى أنى أحاول العودة كاسفاً ، فأهاب بى أن أستمر لترى البقية ، ثم أخذ بى إلى طريق منفرج منظم ساعد مع نسيم البحر على إعادة مانقص رئتى من الاكسجين . مشينا حتى بلغنا بناءاً شيقاً فوقفت متسائلا باهفة عما يكون هذا ؟ . فأجابنى دليلى بأن هذه إحدى المدارس التى سأرى كثيراً مثلها . وهنا عاد تنفسى إلى طبيعته . وانطلقنا حتى بلغنا مبنى آخر مكتوب عليه (المستشفى الأميرى) . دخلته بسرعة ولهف فوجدت فوجا من العمال يتممون زخرفته . ووقفت أقلب النظر بين نشاطهم وما أنجزوا فنسيت ماكنت عليه منذ لحظة كأن الرجاء قد محى بقدرته آية اليأس . فلم يبق منى إلا طفل فرح . نهنى إلى وجوده رجل بكوفية وعقال أقدمه لا لأنه مدير الصحة بل لتسمعه وهو يستفيض فى الشرح عن طبيعة المؤسسة ونظمها المجسمة أمامى . فكأنه مهندس ماهر تخصص فى هندسة المستشفيات هذا المستشفى بالذات ليس كمثله شىء بأى مملكة أو سلطنة بكل جزيرة العرب .

هذا هو الكويتى فى إدارته التنفيذية ، سمح فى سماع انتقاداتك الحقة تحسبه جامداً بينما هو يجمع قواه المادية لينفذ أرقى مايمكن ولكنه لايهدم القديم قبل أن يكون مستعداً لإقامة الجديد فى الوقت ذاته ، وما لبثت فى الكويت قليلا حتى رأيت الزملاء يتداولون ، والفكر والأيدى تعمل ناشطة بسرعة ليجهزوا على الماضى ، وكما قلت ليبنوا الحاضر معاً . أقول الحق ، إن أعضاء مجلس كل دائرة وهم كويتيون محض هم الدافعون الحقيقيون لكل نهضة مستنيرين فقط بالفنيين » .

رب اجعل هذا البلد خليقاً بنشاط أهله وارزقه بالمخلصين حتى يتسلم النشء الكويتى مكان كل فنى ؟

محمد رياضه صلاح

طبيب معارف الكويت

عدت الى الكويت

عرفتها منذ سنوات عشر يوم كنت أقف على أول درجة من سلم الشباب . ولقد أنزلتها من قلبى فى أرفع مكان وعشقت فيها الشمائل العربية الصريحة التى وصى بها ربيعة ومضر ، تلك الشمائل التى تشيع فى نفس العربى نشوة الحنين ، ولذة الذكرى الحبيبة فساقنى ذلك إلى الإخلاص فى العمل والصدق فى المحبة فقضيت عاماً سعيداً مفعماً بكل ذكرى عاطرة عشت فيه بخيالى أنسج الأساطير ، فأعمانى ذلك عن كل ما لاقيت من حرمان . كنت أرى الكويت جنية عربية ، فزعت من جزيرة العرب ، لتشهد مصرع دجلة والفرات فى الخليج العربى ، فلوحتها الشمس وأدركها الإعياء ، فألقت بنفسها على الشاطىء وتركت أمواج البحر تنضح أخمصيها ، وهذا اللؤلؤ الذى يتنافس الغيد فى التحلى به ، ما هو إلا دموعها المقدسة على مصير الحبيبين دجلة والفرات ، وكنت أشتاق إلى الخضرة فلا أجد إلا هذا الشجر ذا الأشواك مما يشبه السدر ، فتهش له نفسى وينشرح له صدرى لأنه يذكرنى بسمرة الرسول يوم الحديبية وبسمرات امرىء القيس التى خلدها بقوله :

كأنى غداة البين يوم تحملوا
لدى سمرات الحى ناقف حنظل

وكم ضمتنى الصحراء الساحرة فى الليل الساجى البهيم ، مع فتية كالسيوف هزهم شرخ الشباب وزانهم كريم الآداب فأنشدنا قول المعرى :

رب ليل كأنه الصبح فى الحسـ
ـن وإن كان أسود الطيلسان

ثم التفتنا إلى السماء فأنشدنا :

ليلتى هذه عروس من الزنج عليها قلائد من جمان

كانت الكويت قبل سنوات عشر تلبس حلة من البساطة المحببة ، فالحياة سهلة ليسة والعلاقات بين الناس أخوية ديموقراطية ، فيها كثير من الطمأنينة والثقة يرتسم على وجوه القوم مافى نفوسهم من رضى ودعة . وكنت أينما سرت تستمع إلى ألحان التحيات العربية الصادقة والمجاملات